جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 36 / حزيران 2023

الابعاد الاقتصادية و الاخلاقية والانسانية عند الإمام علي (عليه السلام)

The economic, ethic and humanitarian dimensions of Imam Ali

أقبال هاشم زيدان علي
Iqbal Hashem Zidan Ali
أ.م.د هدى عباس محسن الجميلي
Asst. Prof. Dr. Hoda Abbas muhsin

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية : الابعاد، الاقتصادية، الاخلاقية، الانسانية عند الإمام علي عليه السلام

Keywords: dimensions - economic - moral - humanity according to Imam Ali

الملخص:

اسس الامام علي عليه السلام أعظم وثيقة دستوريّة ألا وهي عهده الذي كتبه إلى مالك الأشتر(رض) وثبت فيها دعائم القواعد القانونية والاجتماعية والاقتصادية وفيها معاني التعايش السلمي وكانت السياسات التي اتبعها الإمام عليه السلام محورها هو الإنسان، والحفاظ على كرامته وحقوقه المادية والمعنوية من خلال معالم المذهب الاقتصادي عند الإمام علي عليه السلام التي تتمثل في البعد الاخلاقي والبعد الإنساني والبعد التنموي، وحريٌ بنا نحن المسلمون ان نستلهم من تجارب اعظم قادتنا الذين جسّدوا الاسلام وقيمه وأسسه وأحكامه علم القيادة وحيثياتها. وقد عرف المسلمون الامام علي عليه السلام على انه اعظم قادة المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وان الامام عليه السلام نجح نجاحا كبيرا في مواجهة التحديات الاقتصادية التي المّت بالمجتمع الإسلامي جرّاء الفترة بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وافاد من تجارب قيادته صلى الله عليه وآله الالهية في العهدين المكي والمدني، بالإضافة الى معاصرته تجربة الخلفاء وممارساتهم المختلفة. واليوم نحن في مجال علم القيادة الاقتصادية وتوسع دراسة الوثائق التاريخية التي نعكس هذه التجربة الفريدة بحاجة ماسة الى دراسة قواعد الفقه الاقتصادي للامام علي عليه السلام.

Abstract:

The subject of the rules of economic jurisprudence in human studies is receiving increasing interest in our contemporary world، and is benefited in discovering its elements، components and ways of success from the experiences of the predecessors. To be inspired by the experiences of our greatest leaders who embodied Islam، its values، foundations and rulings، the science of leadership and its implications. Challenges that afflicted the Islamic community as a result of the period after the departure of the Prophet and the weakness of the rules of economic jurisprudence. The features of the success of the rules of economic jurisprudence of Imam Ali.

المقدمة

أسس الإمام علي عليه السلام الكثير من القواعد الاقتصادية والتي ثبت دعائمها ومن أبرز هذه القواعد هي قاعدة الاصلاح الإجتماعي وإنهاء الطبقية والعنصرية وهذه ظهرت جليّاً في السيرة العلوية أثناء حكومة الإمام علي عليه السلام حيث ضمن حقوق (أهل الذمة) وراعى مصالحهم واهتم بفقرائهم ومعوزيهم. وأكد عليه السلام على حفظ حقوق (أصحاب الاحتياجات الخاصّة) وعلى مساعدتهم وحث على التواضع وقضاء حوائج الناس وستر عيوبهم لأن كل وصاياه تهدف إلى صناعة مجتمع سليم يهتم بعضهم بالآخر.

وتكمن أهمية الدراسة في الجانبين التطبيقي والنظري، فتطبيقياً أتاحت هذه الدراسة للقيادات في زماننا الحاضر اتباع نموذج مثالي للقيادة الاقتصادية، إضافة لإحياء الممارسات القياديّة في سيرة الإمام عليعليه السلام ليكون إضافة نوعية ومنهجاً تطبيقياً لكل قائد يسعى إلى القيادة المثالية، وكذلك التأسي بالسلوك القيادي للامام عليعليه السلام الاقتصادية وقدرته على التأثير في الأتباع مما يلهب حماسهم للتغيير الإيجابي. ومن الجانب النظري سلطت الدراسة الضوء على الدور المهم للنمط القيادي التحويلي في القرن الواحد والعشرين باعتباره جوهر عملية إدارة

التغيير وما يترتب عليه من مصالح أو مفاسد تبعاً لصحة ورشد القيادة، وتسهم في تأصيل منهج القيادة الاقتصادية في واقعنا المعاصر وإبراز مفهوم القيادة الاقتصادية كما جاءت في الفكر الإداري الإسلامي محتوى ومضموناً، وكذلك تسهم في إثراء المكتبات بالبحوث والدراسات العلمية المتعلقة بدراسة المنهج التشريعي القيادي.

مشكلة البحث :

يتطلب من الباحث تقصيه لمشكلة البحث من خلال طرح التساؤلات أو الاستفسارات التي تدور حول مشكلة البحث والتي تتمثل في عدم تطبيق نهج الامام عليه السلام في إدارة الدولة والقيادة العادلة للحاكم المسلم الذي يطبق مباديء الشريعة الإسلامية في الحقوق والواجبات للرعية كما نراه اليوم في العالم الإسلامي.

فرضية البحث :

- هناك مفهوم للقيادة الاقتصادية والادارية للإمام علي عليه السلام .يجب الاقتداء به
- مواجهة التحديات الاقتصادية والفكرية التي كانت تواجه الامام علي عليه السلام في عصر خلافته عليه السلام
- وجود المعطيات وأثار حكيمة للقيادة عند الامام علي عليه السلام

هدف البحث :

1- تسليط الضوء على قيادة الامام عليه السلام وعدالته في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين في الحقوق

2- التعرف على أبعاد شخصية الامام عليه السلام في الحكم من الناحية الاقتصادية والإنسانية والأخلاقية

3- ارساء أسس الإسلام والقيادة الالهية الدينية والدنيوية السليمة بالاخذ بالمجتمع نحو الاهداف السامية في مدة وجيزة من حكمه عليه السلام.

المبحث الاول : الابعاد الاقتصادية عند الإمام علي عليه السلام

تتشكل في كثير من الأحيان مع قيام الأنظمة السياسية مجموعة من العوامل المحيطة بالحاكم تختلف أسباب تشكلها وطبيعة تكوينها وأهميتها للدولة في كثير من المجالات لتكون لها المحورية في رسم سياسة الدولة التي تحاول من خلالها التنفيذ وهيمنة الدولة لذاتها المعنوية والمادية وفي هذا المجال يوظف الامام علي عليه السلام الصورة المستوحاة من واقع النص الديني والموروث التاريخي في توظيف منابع المعرفة التي يمكن من خلالها أن تستقيم الأمور ليدرجها في عهد مالك الاشترعلى مناهج ثلاثة :

الاول: استنهاض الانسان ليمارس دوره الفاعل في الحياة، ويفجر طاقاته الكامنة، ويشق طريقه بالطموح وعلو الهمة .

الثاني : وضع سياسة الدولة في خدمة التنمية، وهذا ما تؤكده مسيرة الإمام عليه السلام في الشعب، وتوجيهاته للولاة والموظفين، ومن أبرزها واشملها عهده لمالك الاشتر حين ولاه مصر، إذ يؤكد الامام في فقرات هذا العهد على تطبيق العدل والمساواة بين المواطنين وحفظ حقوقهم المادية والمعنوية وإن اختلفت أديانهم وتوجهاتهم، يقول عليه

السلام: (واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم، فانهم صنفان: اما اخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق)

الثالث: دعوة الناس للتعاون فيما بينهم، والتطوع لخدمة بعضهم، والاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع، بما نطلق عليه الآن بالتكافل الاجتماعي، وقد روي عنه ﷺ أنه قال لجابر بن عبد الله الانصاري: (يا جابر، قوام الدين والدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وجواد لايبخل بمعروفه، وفقيرلا يبيع آخرته بدنياه..، ياجابرمن كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه، فمن قام لله فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم لله فيها بما يجب عرضها للزوال والفناء).

المطلب الاول : يتفوّق النّظام الاقتصادي على الأنظمة الاقتصادية الوضعية بفضل الخصائص التي تميّز بها يحقّق السّعادة والرّخاء لجميع النّاس،أهم هذه ومن هذه الخصائص :

1- إن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد إلهي، أي أنه من الشارع المقدس، أي أن أصوله وتشريعاته ثابتة غير قابلة للتغيير أو التبديل مع تغير الأمم وعلى مر الزمن[1] ولكن هذا لا يمنع منأوجود الجزئيات وبعض الأمورالقابلة للتغير التي يتدخل فيها العقل البشري والجهد العلمي وتراعي المصلحة العامة[2] لأن الاقتصاد الإسلامي يعتمد على القاعدة الفقهية التي تقول: إن الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج [3] لقوله تعالى. ﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[4].

2- الاقتصاد الاسلامي اقتصاد عقائدي: إن الخاصية العقدية للنّظام الاقتصادي مبنيّةٌ على عقيدةٍ واضحة وإيمانٍ كبير بأنّ الله تكفّل للإنسان برزقه منذ أن كان جنينًا في بطن أمّه، وبالتّالي لا يدفع الطّمع الإنسان إلى الكسب غير المشروع أو أكل أموال النّاس بالباطل لعلمه بأنّه لن يأتيه إلاّ ما كتبه الله له، وقد بني الاقتصاد الإسلامي على فكرة أنّ الإنسان هو مالكٌ مؤقّت لهذا المال لأنّ الله تعالى سيرث الأرض ومن عليها، وأن النّاس يتفاوتون في الرّزق فلا ينبغي أن يطمع الإنسان فيما بين يدي أخيه لأنّ الحقيقة تؤكّد على أنّ لكلّ مجتهدٍ نصيبٌ في الحياة.قوله تعالى(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)[5] وهو ظاهر من ترتيب الاهتداء والامن من الضلال أو العذاب الذي يستتبعه الضلال، على ارتفاع الظلم ولبس الايمان به، وبالجملة الضلال والشرك والظلم أمرها واحد وهي متلازمة مصداقا، وهذا هو المراد من قولنا: ان كل واحد منها معرف بالآخر[6]. قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[7]، حيث ان العقيدة في الاقتصاد الإسلامي تقوم على مبدأين:

ا- إنّ اللهِ سبحانه تعالى هو المالك لكل الموجودات بما فيها المال والإنسان مُستخلف فيه: وبذلك يكون الإنسان مسؤول عن هذا المال، كسبا وإنفاقا، أمام الله في الدنيا والآخرة، فلا يجوز أن يكتسب المال من معصية أو ينفقه في حرام، ولا فيما يضر الناس.

2- المال أداة لقياس القيمة ووسيلة للتبادل التجاري، وليس سلعة من السلع. فلا يجوز بيعه وشراؤه (ربا الفضل) ولا تأجيره (ربا النسيئة)[8] ويعرف المال[9]*

3- الاقتصاد الاسلامي اقتصاد واقعي: الاقتصاد الاسلامي واقعي في غاياته وطريقته؛ لأنه يستهدف في مبادئه الغايات التي تنسجم مع واقع الانسانية ويدرك رغبات الإنسان الخاصّة في التّملك،

وقدرات البشر فلا يكلّف أحدًا فوق طاقته، كما يدرك أهميّة اشتراك المجتمع بعموم أفراده في ملكيّة عددٍ من الموارد مثل الماء وكنوز الأرض التي لا يتصوّر وجودها في يدٍ واحدة قد تحتكرها فيتضرّر المجتمع لذلك[10]. ان الشريعة الاسلامية لاتقبل من الانسان القادر على الكسب التعطل عن العمل بل تفرض عليه السعي وتقدم له يد العون وترشده، فاليد العليا خير من اليد السفلى وان المؤمن القوي خيرواحب الى الله من المؤمن الضعيف،خير يحقق لنفسه حياة عزيزة تغنيه عن الذلة والمسكنة [11] وقد فضّل الله بعض البشر على بعضٍ في الرّزق من باب الابتلاء والاختبار، لِقولهِ تعالى: (وَهُوَ الَّذي جَعَلَكُم خَلائِفَ الأَرضِ وَرَفَعَ بَعضَكُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ لِيَبلُوَكُم في ما آتاكُم)[12].

4- خاصية الشمولية التي يتمتع بها الاقتصاد الاسلامي: فهو يهتم بالجانب المادي اضافة إلى اهتمامه بالجوانب الروحية والاخلاقية وتضمنه لكافة الاحتياجات البشرية، والعمل على توفير ضروريات الحياة فهو يعمل على الرقي بالقيم الأخلاقية مثل الأخوة والصدق والعدالة، ولذلك يعد اقتصاداً هادفاً يجمع بين العقيدة والاخلاق[13] على عكس الانظمة الاقتصادية الأخرى التي تركز اهتمامها على الجانب المادي فقط. فإن الاقتصاد الإسلامي منظومة فكريَّة للكتاب والسنة بما فيها سيرة الرسول ﷺ الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو مجموعة المبادئ والأصول التي تحكم النشاط الاقتصادي للدولة الإسلامية التي وردت في نصوص القرآن والسنة النبوية، والتي يمكن تطبيقها بما يتلاءم مع ظروف الزمان والمكان. وتعالج مشاكل المجتمع الاقتصادية وفق المنظور الإسلامي للحياة. ومن هذا التعريف يتضح أن الأصول ومبادئ الاقتصاد الإسلامية التي وردت في القرآن والسنة النبوية، هي أصول لا تقبل التعديل لأنها صالحة لكل زمان ومكان بصرف النظر عن تغير الظروف [14].

5- انه نظام اقتصادي اخلاقي:على المسلم ان يلتزم بمبادىء الاخلاق الحميدة التي دعا اليها القرآن الكريم والسنة الشريفة.

المطلب الثاني : خصائص النظام الاقتصادي في الاسلام وتميزه عن الانظمة الاقتصادية فهي:

- إن نظام الاقتصاد الإسلاميّ أسلوب اقتصاديّ مُعتَمِد على الإسلام في استخدام الموارد من أجل توفير حاجات الناس. فهو نظام مُرتبط بالعقيدة والأخلاق الإسلاميّة، يحتوي على مجموعة من الإرشادات والضوابط التي تسهم في التحكّم بالسلوك الاقتصاديّ[15] والتي ترتكز على أصول وقواعد أساسية تحفظ للنظام الاقتصادي أسلوبه وشخصيته.

- هو نظام تشريعي الهي الأصل منزه عن رأي البشر وهو جزء من نظام للعيش متكامل الجوانب وضعه الله للكون والإنسان والحياة وإذا تمسك الإنسان بهذا النظام ولم يسر على هواه فلا تضظرب حياته.

- قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[16]،
- النشاط الاقتصادي في الاسلام نشاط تعبدي هدفه سام ومؤدى ذلك ان تكون أعمال المسلم كافة هي عبادة لله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[17]،

- هو جزء من منظومة عامة فان تسخير الله سبحانه وتعالى هذه النعم للانسان في الحياة الدنيا جاءت لتكليفه بالسؤولية وعليه ان يتعامل معه بمستوى المسؤولية لانه سوف يحاسب عليه كما في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[18]، بالاضافة الى تحقيقه التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة من خلال توزيع الثّروة وعدم جعلها في أيدي فئةٍ مُعيّنة، لِقولهِ تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [19]. وهذه الميزة جاءت وسطا بين مبدا الحرية المطلقة في الاقتصاد الرأسمالي وبين تغلب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد في الاقتصاد الموجه (الاشتراكي) اما الاقتصاد الاسلامي فيأخذ بالاعتبار مصلحة الفرد وحريته في الملك ضمن ضوابط مصلحة الجماعة التي لاتنفي أحداهما الأخرى وإذا حصل تعارض بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة تقوم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.إن هذه الميزة للاقتصاد الإسلامي لا تعني أنه مزيج بين الاقتصادين الرسمالي والاشتراكي بل له جذوره الخاصة وإن التقى مع هذا النظام بجزئية[20].

ومن اهم مميزات النظام الاقتصادي الإسلامي:

أ- الصدق والامانة في المعاملات على المسلم ان لايغش ولا يرابي، ولا يحتكر، ولا يرشي، ولا يأكل أموال النّاس بالباطل، ويبتعد عن الغبن، لا يغشّ ولا يدلسّ. مع جميع النّاس ومهما اختلفت عقائدهم لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)[21]

ب- مراعاة الجانب الشرعي في الحلال والحرام لمعاملات البيع والشراء وذلك بالعمل بما أحل الله وهو قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[22]

ج- السماحة في البيع : وهي من صفات المسلم عن الإمام علي عليه السلام لرجل يوصيه ومعه سلعة يبيعها قال عليه السلام: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: السماح وجه من الرباح)[23].

المبحث الثاني : البعد الاخلاقي عند الامام علي (عليه السلام)

ان الاخلاق والقيم والمبادىء الانسانية لها دوركبيرومؤثر في صناعة الانسان وتوجيهه نحو اهداف معينة. كما إنّ العهد الذي كتبه الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولاّه مصر،كان يمثل القيم الانسانية والاخلاقية باعلى مستوياتها ومن جملة مااوصى به الامام علي (عليه السلام) مالك الاشتر أن يكون محبَّاً للرعية، محترماً لمشاعر الناس من أي فئة كانوا، مسلمين أم من الأديان الأخرى وهذا مايمثل إنسانية الدين الإسلامي، وهو أيضاً قوة للنظام وحكومتة.

المطلب الاول : المعالم الاخلاقية والانسانية في العهد العلوي

اولا– معالم اصلاح المجتمع:

ان مفهوم الاصلاح يمثل معلما رئيسيا من معالم الانسانية فقد قال (عليه السلام) لمالك : (فلا تغدرن بذمتك ولا تخيس بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لايجتري على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا افضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته ولا يستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسه ولا خداع ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تقولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقه ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب الفساخه بغيرالحق)[24]. والمتامل في النص يجد ان السياقات الانتاجية لاسلوب النهي حاضرا وهي سياقات التهديد والوعيد عند نكث العهود وابطالها. ان اصلاح المجتمع وصلاحه وديدن الامام (عليه السلام)واهل البيت (عليهم السلام) خلقوا لاصلاح المجتمع وبث روح الخيروالسماحة في نفوسهم والوفاء بالعهد بوصفه من الاسس التي اوصى بها الامام علي (عليه السلام) مالك الاشتر النخعيليقيم بها ولايته على مصر وقد جعل (عليه السلام) هذه القيمة الدينية والاخلاقية ضربا من ضروب الامانة التي أمر الله عز وجل بصيانتها والتمسك بها في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُم أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرا﴾[25] ومن هنا أوجب الإمام على المسلمين التضحية بالنفس من أجل الوفاء بالعهد وهذا رفع لشأن هذه القيمة التي تسهم في بناء المجتمع وترصن العلاقات بين ابنائه. لقد أراد الإمام علي (عليه السلام) أن يبني حياة المسلمين على الوجه الذي يحقق لهم سلامة دينهم ودنياهم بهذه القيمة العالية فخصها بجزء من عهده إلى الاشتر ليبصره الامام (عليه السلام) علي ليكون قدوه لرعيتة في قيادته لهم.

ثانيا – التعايش السلمي :

تعتمد المعايشة في المجتمعات على مبدأ المواطنة فتوافر هذا المبدأ يفضي إلى التعايش لشرائح المجتمع كافة وهذا ينم على حسن تقبل الطرف الآخر به والاعتراف باحقيته بوصفه مواطناً ينتمي للبلد[26] وتشير النصوص العلوية في ضوء العهد الانساني إلى أن الإمام علي أسس نهج عظيم ينطلق من عالمية القرآن الكريم وعالمية شريعة السماء فقد قال الإمام ع : لمالك (وأشعر قلبك الرّحمة للرّعية والمحبّة لهم، واللّطف بالإحسان إليهم، ولا تكونّن عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظيرٌ لك في

الخلق)[27] بدا النص بأهم فعل كلامي تترتب عليه الإرادة الفعلية وهو نوعية الفعل والحث عليه وهو ووفق رؤية النقاد استدعاء إرادي لفعل مأور ضمن متطلبات الامر وهذا يعني لامناص من وجود دال يقوم عليه التفاهم[28].

ثالثا– العدل :

يتجلى معلم العدل والمساواة بأبهى صورة واجمل وصف في عهد الامام عليه السلام قوله في العدل لمالك الاشتر(أنصف الله وأنصف النّاس من نفسك ومن خاصّتك ومن أهلك ومن لك فيه هوى من رعيّتك، فإنّك إن لا تفعل تَظلِم، ومَن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومَن خاصمه الله أدحضَ حجّته، وكان لله حرباً حتّى ينزع ويتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نقمة وتعجيل نقمة من إقامةٍ على ظلم، فإنّ الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد)[29] في هذا المقطع نلمح فنا من فنون البيان وهو عنصر من عناصر الابداع في قوله عليه السلام (انصف الله)أي: حكم الله وعدله فنص الامام عليه السلام لم يات من فراغ وهو اشارة الى قوله تعالى :﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[30] تناولت هذه الآية موضوع الدعاء بعده أحد وسائل الارتباط بين العباد والمعبود سبحانه. إذ إن الدعاء والتقرب إلى الله روح كل عبادة،.هذه الآية تخاطب النبي ﷺ وتقول: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب[31]وقوله تعالى :﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[32] (قنطرة على السراط لا يجوزها عبد بمظلمة)[33] إن فكرة العدل التي لخصها أمير المؤمنين ع بوضع الأمور في مواضعها تمثل مختلف القضايا فالعدل الاجتماعي يتم عبر الحقوق القانونية والواجبات والحقوق المالية والفرص المتكافئة. فالعدل اعطاء الفرص المتساوية للناس بحيث يتمتعون بحقوقهم القانونية والشرعية وينفذون واجباتهم ومسؤولياتهم الدينية والاجتماعية أي أن العدل إذا كان يعني وضع الأمور في مواضعها فلا بد أن يكون وضعها في حالتي الوصف والمعيار. فالإمام عليه السلام دعا إلى اقامة العدل وعدم الزيغ عنه ثم أشار الإمام علي عليه السلام إلى العدل في موضع آخر فقال: (ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا لأهل الاحسان في الاحسان وتدريبا لأهل الاساءة والزم كل منهم ما الزم نفسه)[34]. ففي هذا المقطع تتجلى رمزية العدل والمساواة القائمة على التمييز الصحيح والتحقيق السليم من أجل اقامة العدل والمساواة. ويتعمق الخطاب العلوي حينما يقسم الإمام علي عليه السلام الرعية الى طبقات معطياً كل طبقة حقها ومستحقها وفقاً لأثرها في المجتمع فهو عليه السلام يؤسس للمدينة الفاضلة التي قوامها العدل والانصاف وأساسها التعاون والتحابب والتوادد فقالعليه السلام:(واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعضا فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلاً قد سمى الله سهمه ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنته ﷺ عهداً منه عندنا محفوظاً)[35]علي عليه السلام قسم المجتمع إلى طبقات فهذا لا يعني أبدا أنه يريد ايجاد تمايل وفوارق طبقية في المجتمع لأنه من الواضح والمعلوم لدينا أن مبدأ التمايز في الإسلام وفي نهج الإمام علي عليه السلام بين الناس هو التقوى وهو المثل الأعلى في الحياة الإنسانية فالتقسيم الطبقي الذي ذكره عليه السلام يقدم بالدرجة الأولى على الوظيفة التي تؤديها كل طبقة ولا يستتبع حكماً تقويمياً على الشخص المنتسب إلى طبقة ما يجعله في القمه أو ينحدر به

إلى أسفل السلم الاجتماعي فهذا التقييم يؤكد دراية الإمام بطبقات المجتمع وتصوراته الحقيقة المدعومة بالأدلة على الفهم الكامل للمنظومة المجتمعية كافة.

رابعا– الفقراء والاحسان اليهم :

قال الإمام عليه السلام لمالك:(ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعا ومعتراً، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى)[36]. قسم الإمام علي (عليه السلام) المجتمع إلى سبع طبقات كان في ادناها أهل المسكنه والحاجة (الفقراء والبؤساء) بضم أوله أي شدة الفقر والزمني اصحاب العاهات حيث وضع الإمام علي عليه السلام الدولة أمام مسؤوليتها تجاههم ؛ لأنهم اذا لم يجدوا العناية منها ينحرف قويها إلى طريق الجريمة ويموت ضعيفها جوعا فلا بد من تدبير يدفع البؤس عن أفرادها الذي أرسى إليه الإمام علي عليه السلام دعائمه هو مبدأ التكافل و الضمان الاجتماعي وتتعالى شمولية هذه النزعة من أجل تحقيق شمولية التلقي كقوله عليه السلام (وتعهد أهل اليتيم و ذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل)[37]

ونجد أن الإمام ع هو أول من صاغ مصطلح ذوي الاحتياجات وحدد فئاتهم وأكد على أهميتهم ووجوب العناية بهم وقد سجل الإمام ع سبقاً زمنياً للحقوق التي أقر مبادءها الإعلان العالمي لحقوق الانسان عام ١٩٤٨ م واتفاقية حقوق الاشخاص وذوي الاعاقة بمسافة زمنية تصل إلى 14 قرن ثم وضع الأمام علي عليه السلام حلولا استراتيجية لمكافحة الفقر والقضاء عليه منها الالتزام باتباع حكمة الله في الإعمار والتنمية والاستثمار في البنية التحتية فقد قال عليه السلام(وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من تظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لايدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد وأهلك العباد)[38].

خامسا العفو والصفح :

نجد أن التجربة الشعورية ذات القيمة الادائية حاضرة في خطاب الإمام علي عليه السلام فتضيف مديات تاثيرية تكشف لنا خصوصية التفاعل من الواقع والنفس في قوله ﷺ:(فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم)[39]. فالمخزون الثقافي المدعوم بتصورات ذات القيمة الادائية يهتدي عليه السلام بقوله تعالى:﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[40]. فالعفو والصفح بعدان من الأبعاد الإنسانية المتصلة بمعلم التعايش السلمي وهو ترك العقوبة للمستحق والتجافي عن الذنب واسقاطه ومحوه وقد حذر الإمام عليعليه السلام مالك من وساوس الشيطان وحبائله ومكائده متخذاً من الوضوح وسيلة للافهام من أجل الوصول إلى المتعة الفنية والموقف التفاعلي المؤثر باستعمال اللغة التعبيرية كقوله ﷺ (ولا تندمن على عفوا ولا تبجحن بعقوبة ولا تسر عن بادرة وجدت منها مندوحة)[41].

سادسا: التواضع.

في ضوء عهد الامام علي عليه السلام نجد التوجهات التاثيرية المباشرة لمالك على فرض وجود افكار فجاءت الجمل التي تصور هذا البعد وهو التواضع مؤكدة له تارة وآمره به تارة اخرى كقوله عليه السلام لمالك: (ولاتقولن اني مؤمر امر فاطاع فان ذلك ادغال في القلب ومنهك للدين وتقرب من الغير واذا احدث لك ماانت فيه من سلطانك ابهه او مخيله فانظر الى عظم ملك الله فوقك قدرته منك على ماتقدر عليه من نفسك فان ذلك يطمئن اليك من طماحك)[42] لابد للحاكم من التحلي بالتواضع ومسايرة الناس وتغييب عناصر التسلط والهيمنه فالمنصب والامارة والولاية لا تعني التسلط واستعباد الناس ويشتد ترغيب الامام علي عليه السلام مالكا بالتواضع والاستيصاء بعناصر الطبقة السفلى اللذين لاحيلة لهم ساعيا عليه السلام الى تعميق المعنى القراني في ضوء التضمين فقال:(ولا تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم) [43]وقد حذر الامام علي عليه السلام مالكا من العجب والدهشة والثقة الزائدة والمبالغة في الثناء من المتملقين لان الشيطان يدخل هذه المداخل فقال عليه السلام :(واياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق من يكون من احسان المحسنين)[44].

سابعا: ستر العيوب

ان ستر العيوب بعد انساني لابد من اتصاف حاكم المسلمين به قال عليه السلام لمالك (وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فان في الناس عيوبا الوالي احق من سترها) [45]بدأ النص بالدال الطلبي (وليكن) المؤدى بلام الأمر الداخلة على الفعل المضارع من أجل توجيه الفاعل والحث عليه فضلاً عن ذلك استعمال أسماء التفضيل (ابعد، أشنأ، اطلب) لعظم هذا المبدأ الإنساني ولم يكتف الامام عليه السلام بستر العيوب بل دعا مالكا الى تطهير ما ظهر منها وستر القبيح منها فالله ستار العيوب فقال عليه السلام:(فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك)[46]. ويختم الامام علي عليه السلام هذا المقطع بالإشارة الى عدم التعجيل بتحديق السماع فتظهر الحكمة الواقعة المرتبطة بتكوينات مدروسة واعية ذات مرجعيه رساليه تمثل المنزله العليا الشعورية في الارتقاء الإبداعي فقال عليه السلام:(واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصح لك ولا تجعل الى تصديق ساع فالساعي غاش وان تشبه بالناصحين)[47].

ثامنا: التحذير من ذوي الرذائل

من الأبعاد الإنسانية التي أكدها الإمام عليه السلام في عهده (لمالك) تحذيره وتنبيهه على ذوي الرذائل والمثالب قال الامام عليه السلام لمالك : (و لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك على الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الأمور ولا حريصا يزين لك الشر بالجور فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله ان شر وزرائك من كان الأشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانه فانهم أعوان الاثمة واخوان الظلمة)[48].تتشكل في كثير من الأحيان مع قيام الأنظمة السياسية مجموعة من العوامل المحيطة بالحاكم تختلف

أسباب تشكلها وطبيعة تكوينها وأهميتها للدولة في كثير من المجالات لتكون لها المحورية في رسم سياسة الدولة التي تحاول من خلالها التنفيذ وهيمنة الدولة لذاتها المعنوية والمادية وفي هذا المجال يوظف الامام علي عليه السلام الصورة المستوحاة من واقع النص الديني والموروث التاريخي في توظيف تام لكل منابع المعرفة التي يمكن من خلالها ان تستقيم الأمور ليدرجها في عهد مالك الاشتر فالأمام علي عليه السلام حذر مالك من البخيل الذي يمنعه من الانفاق والتوسعة على الرعية والجبان الذي يضعفه عن اتخاذ القرارات الحربية والعسكرية والجهاد في سبيل الله والحريص الذي يأمرك بالظلم ويمنعك عن العدل وقد حذر الامام أشد التحذير من الوزراء الذين كانوا في الحكم قبلك من اتخاذهم وزراء واتخاذهم أمناء لانهم يعينون على الاثم والعدوان في السياق نفسه ينوه الامام عليه السلام على حسن اختيار الاكفاء من القضاة فقال (عليه السلام): (ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور)[49] والوزراء فقال عليه السلام: (ممن لم يعاون ظالما على ظلمة ولا اثما على اثمه أولئك اخف عليك مؤونة و احسن اليك معونة) ويؤكد الامام على حسن اختيار العمال ذوي الفضائل فقال: (وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة و القدم في الإسلام المتقدمة)[50] وهكذا أسس الامام علي عليه السلام الدولة المتكاملة والنموذجية[51].

تاسعا : حقن الدماء

في ضوء عهد أمير المؤمنين عليه السلام نرى أنه ينبه مالكا و يحذره من إراقة الدماء، وسفكها بغير الحق: (اياك والدماء وسفكها بغير حلها فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد في ما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه و يوهنه بل يزيله) [52]. فحقن الدماء وحفظها من الابعاد الإنسانية العظيمة والجليلة، فمكانة دم المسلم وحرمته[هـ]و أساس الوجود وجاءت النصوص المباركة في تكريم الانسان قال تعالى (ولقد كرمنا بني آدم و حملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثيرٍ مما خلقنا تفضيلا)[53] عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله لا يكرم روح كافر ولكن يكرم أرواح المؤمنين وإنما كرامة النفس والدم بالروح والرزق الطيب هو العلم[54] واراقة دمه فساد في الأرض وقتل للناس اجمع قال تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [55].

المطلب الثاني: البعد الإنساني.

لم يجتهد الإمام عليعليه السلام في نشر ثقافة التعايش فقط بل ساهم في تهيئة وبناء الوعي الانساني من أجل أن يصل بنا لمستوى التعايش الإيجابي فكان عليه السلام في سلوكه الفردي والاجتماعي وفي كل الظروف آية وقدوة للانسانية التي يتصف بها عليه السلام.

اولا : تعامل الامام علي عليه السلام مع المسلمين.

كانت رغبة الإمام علي عليه السلام في الارتقاء بالمسلك الإنساني وفي تربية العقل والضمير والقلب وفي تصفية النفوس وإشاعة الفضائل الروحية فيما التي تعد المنطلق الأساس في حياة الإمام علي عليه السلام مع المسلمين أما المنطق الإنساني العام فان الإسلام يحارب العصبية الدينية في كثير من احوالها. ويحارب العصبية القبلية و العنصرية أشد حرب (الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره الناس جميعاً أخوه مكرمون)[56] نبدأ بتعامل الامام علي عليه السلام مع الولاة والحكام الذين عينهم على البلاد وكلفهم بإدارة شؤون العباد لما تولى الامام علي عليه السلام الخلافة السياسية فقد جاء اليه طلحة والزبير يساومانه قائلين:(نبايعك على إنا شركاؤك في هذا الامر)[57] فقال الامام علي عليه السلام غير متردد (لا)، فتفرقا عنه واما مابلغه أن عاملاً من عمال بيت المال يأكل ما تحت يديه من أموال العامة فبعث اليه علي عجل يقول (فاتق الله و اردد الى هؤلاء القوم أموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لأعذرن الله فيك و الله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة و لا ظفرا مني بإرادة حتى اخذ الحق منها وازيل الباطل عن مظلمتهما)[58] وهذه الشدة التي كان يعامل بها الامام علي عليه السلام المسيئين من الولاة في إحقاق الحق ونبذ الظلم ومعونة الضعيف ونصرة المظلوم. اما تعامل الامام علي عليه السلام مع افراد مجتمعه فكان أفضل ما يتعامل به الحاكم مع رعيته حتى انه منح الحرية الواسعة لنقد حكمه و لم يتعرض للناقدين له بسوء و كان ابن الكواء من الد أعدائه فقد اعترض عليه و قال له (لئن اشركت ليحبطن عملك)[59] فقال له الامام علي عليه السلام ردا عليه بآية قرآنية ﴿فاصبر ان وعد الله حق و لا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾[60] ولم يتخذ الإمام بحقه أي إجراء وإنما عفا عنه و أخلى سبيله.

ثانيا : تعامل الامام علي (عليه السلام) مع غير المسلمين.

لقد كان تعامل الامام عليه السلام مع الانسان بكونه إنساناً بغض النظر عن دينه وعقيدته حتى قال مقولته العظيمة (الانسان صنفان اما اخ لك في الدين او نظيرا لك في الخلق)[61] فالتعامل الإنساني عند الامام علي عليه السلام مع جميع الناس وروي عن محمد بن عيسى عن احمد بن عائذ عن محمد بن أبي حمزة عن رجل بلغ به امير المؤمنين عليه السلام قال: مر شيخ مكفوف كبير يسأل فقال امير المؤمنين عليه السلام : ما هذا؟ ولم يقل من هذا – فقال يا امير المؤمنين نصراني فقال: امير المؤمنين عليه السلام استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه انفقوا عليه من بيت المال [62]. وأخرج الدراج في جزئيه المشهور بسند مجهول عن ميسره عن شريح القاضي قال: لما توجه الامام علي عليه السلام الى صفين افتقد درعاً له فلما انقضت الحرب ورجع الى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي فقال لليهودي:(الدرع درعي لم أبع ولم ارهن فقال اليهودي درعي و في يدي) فقال: نصير الى القاضي فتقدم علي فجلس الى جنب شريح وقال:(لو لا ان خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس ولكن النبي ﷺ يقول: اصغروهم من حيث أصغرهم الله فقال شريح: قل يا امير المؤمنين: فقال: نعم هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي ولم ابع ولم اهب) فقال شريح: ماذا تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي فقال شريح: الك بينه يا امير المؤمنين قال: نعم قنبر و الحسن يشهدان أن الدرع درعي فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للاب، فقال عليه السلام :

رجلٌ من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت النبي ﷺ يقول: الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة فقال اليهودي امير ألمؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن هذا هو الحق أشهد أن لا إله إلا أله أشهد أن محمد رسول الله وإن الدرع درعك [63].

كلام الامام علي عليه السلام فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق نأخذ بعضا من بدائعه وروائعه:

1- (الناس صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق)[64]. ينظر امير المؤمنين عليه السلام الى الناس نظره بمنتهى الواقعية تحت سراج الحكمة والتعقل من خلال وصيته الى مالك الاشتر(رض) فالناس اما اخ لك في نفس الدين أو إنسان مثلك.... [65].

2- (ما تواضع الا رفيع)[66].فالتواضع اذا قيمة بحد ذاتها كما العلم و الشجاعة و الكرم و غيرها من الفضائل فزينة الشريف التواضع و هو زكاة الشرف و لا يوضع على شيء إلا زانه كما ان الكبر لا يوضع على شيء الا شانه [67].

3- (خالطوا الناس مخالطة ان متم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنوا اليكم) [68].

نبه عليه السلام لذلك على حسن المعاشرة للناس ومعاملتهم بمكارم الاخلاق وكنى عن ذلك بقوله (إن متم) الى اخره من لوازم حسن المعاشرة للمخالطة الحسنة اليه في حياته وافتقاده والبكاء عليه بعد وفاته والجملة الشرطية في موضع نصب صفة المخالطة [69].

4- (أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم) [70]. الاخوان جمع اخ كحزب وحزبان ما أراد عليه السلام الأصدقاء الصادقين وفي هذه الرائعة من روائعه حث على مكارم الاخلاق ولان الاخوان لا يكتسبون الا بها.

5- (إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه)[71]. وهو فضيلة العفو والجذب إليه كونه شكراً للقدرة أي ملازم للشكر عليها ان القدرة على العدو نعمة من الله تعالى يجب شكرها[72].

6- (الوفاء أشرف الخلائق، الغدر شيمة اللئام)[73]. ما احوج الذين لهم مكانه في المجتمع من الزعماء والحكام واصحاب المناصب الى الالتزام والوفاء وأداء الأمانة [74].

المطلب الثالث: البعد التنموي

من أهم أهداف تحقيق التنمية عند الإمام علي عليه السلام هو توفير الرفاه المادي والمعنوي على مستوى أفراد المجتمع، وتتركز في تلّخص أمره لمالك بن الحارث الأشتر في قوله "واستصلاح أهلها [75]وهي بناء مجتمع متعلم، خال من الأمراض، بناء مجتمع الكفاية المادية، وأخيرا، فإن من أهم الأهداف وسببها، إنما هو بناء مجتمع المتقين الذي يتوفر على تلكم الأهداف جميعاً. فمن ناحية تعني الارتباط والتقيّد، فالجماعة البشريّة التي تتحمّل

مسؤوليّة الخلافة على الأرض، إنّما تُمارس هذا الدور بوصفها خليفة لله. ولهذا فهي غير مخوّلة بأنْ تحكم بهواها وباجتهادها المنفصل عن توجيه الله سبحانه وتعالى، لأنّ هذا يتنافى مع طبيعة الاستخلاف، بالتّالي لا بُدَّ أنْ تحكم بالحقّ وتؤدّي إلى الله تعالى أمانته بتطبيق أحكامه على عباده وبلاده.وعلى هذا الأساس تتميّز خلافة الجماعة بمفهومها الإسلاميّ عن حكم الجماعة في الأنظمة الديمقراطيّة الغربيّة، فالجماعة في هذه الأنظمة هي صاحبة السيادة، ولا تنوب عن الله في ممارستها، وبالتّالي هي ليست مسؤولة أمام أحد، وغير ملزمة بشيء حتّى لو اتّفقت على شيء مخالف لمصلحتها وكرامتها كلّيّاً أو جزئيّاً على حدٍّ سواء. وعلى العكس من ذلك حكم الجماعة القائم على أساس الاستخلاف، فإنّ الجماعة تكون مسؤولة أمام الله تعالى، وملزمة بتطبيق الحقّ والعدل، ورفض الظلم والطغيان، وليست مخيّرة بين هذا وذاك. حتى أنّ القرآن الكريم يُسمّي الجماعة التي تقبل بالظلم وتستسيغ السكوت عن الطغيان بأنّها ظالمة لنفسها ويعدها مسؤولة عن هذا الظلم ومطالبة برفضها بأيّ شكل من الأشكال ولو بالهجرة والانفصال إذا تعذّر التعبير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾[76] فهو – تبارك وتعالى – أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله لأنّهم بأمره يعملون. فاصطفى – تعالى ذكره – من الملائكة رسلا وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الّذين قال الله فيهم: اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً ومِنَ النَّاسِ. فمن كان من أهل الطّاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرّحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة العذاب والنّقمة. ولملك الموت أعوان من ملائكة الرّحمة والنّقمة يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتونه منسوب إليه. وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت وفعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء ويعطى ويمنع ويثيب[77]. اما المسؤوليّة من ناحية أخرى أنّ الإنسان كائنٌ حرٌّ، إذ بدون الاختيار والحريّة لا معنى للمسؤوليّة. ومن أجل ذلك كان بالإمكان أنْ يُستنتج من جعل الله له خليفةً على الأرضِ، أنّه يجعل الكائن الحرّ المختار، الّذي بإمكانه أنْ يُصلح في الأرض، وبإمكانه أنْ يُفسد أيضاً، وبإرادته واختياره يُحدّد ما يُحقّقه من هذه الإمكانات، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[78] وأوجز الإمام جعفر الصادق عليه السلام هذا المعنى بقوله: (الله يحتج على الناس بما آتاهم وعرفهم)[79] فمن آتاه ما لا يسأله: هل أدى ما فيه من حق ؟ ومن آتاه علما: هل عمل بموجبه ؟ ومن أتاه جاها وسلطانا: هل أقام به حقا وأنصف مظلوما من ظالمه ؟ ويقول لكل عاقل قادر: منحتك العقل والقدرة والحرية والإرادة وأوضحت لك طريق الخير والشر بأدلة العقل والوحي، ونهيتك عن هذا وأمرتك بذاك، فهل: عملت بطاعتي أو بأهوائك؟ فمن عمل بطاعته فاز بفضله ومرضاته ومن عمل بالهوى والغرض قامت لله عليه الحجة، وأخذه بجرمه وجريرته[80]. وأكبر الظنّ أنّ هذه الحقيقة هي التي أثارت في نفوس الملائكة المخاوف من مصير هذه الخلافة وإمكانية انحرافها عن الطريق السوي إلى طريق الفساد وسفك الدماء لأنّ صلاح المسيرة البشريّة لمّا كان مرتبطاً بإرادة هذا الإنسان الخليفة ولم يكن مضموناً بقانون قاهر كما هي الحالة في كلّ مجالات الطبيعة، فمن المتوقّع أن تجد إمكانيّة الإفساد والشر مجالاً لها في الممارسة البشريّة على أشكالها المختلفة، وكأنّ الملائكة هالهم أن توجد لأوّل مرّة طاقة محايدة يتعادل فيها الخير والشر ولا تضبط وفقاً للقوانين الطبيعيّة والكونيّة الصارمة الّتي

تسيّر الكون بالحكمة والتدبير، وفضّلوا على ذلك الكائن الّذي يولد ناجزاً مصمّماً لا فراغ في سلوكه تتحكّم فيه باستمرار قوانين الكون كما تتحكّم في الظواهر الطبيعي.

الخاتمة:

من خلال ماتقدم نجد أن ابعاد الشخصية القيادية للامام علي عليه السلام في نهج البلاغة تبين لنا أن في نهج البلاغة رؤية متكاملة وواضحة عن نهج الإمام عليه السلام كما نجد في النهج الحلول الناجعة لهذه الأزمة من خلال حث النهج على تحقيق العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لكافة الافراد حيث لانجد مظهر من مظاهر التفاضل في اخذ العطاء من بيت المال فالكل سواء عند الامام علي عليه السلام.

النتائج :

أولاً: التمسك بالمناقبيات التي تجتث حالات الأثرة و الطمع و الاستغلال و الاحتكار.

ثانياً: وضع سياسة الدولة في خدمة التنمية وهذا ماكده الامام عليه السلام في توجيهاته للولاة والعمال.

ثالثاُ: كفالة اليتيم وتوفير حياة كريمة للفقراء وضمان حقوقهم من بيت المال.

رابعاً: المساواة في توزيع العطاء بين الناس سواء كانوا مسلمين ان غير مسلمين.

خامساً: استئصال أي مظهر من مظاهر تكدس المال و جموده من خلال العمليات الربوية و الاحتكار و الدعوة إلى البذل و إشاعة ثقافة الاقتراض في المجتمع الإسلامي.

التوصيات:

1- اليوم، لا تزال الفرصة متاحة، وبإمكان عالم اليوم المليء بالأزمات، أن يعود إلى ذلك النهج النير، نهج الإمام علي عليه السلام، فهو يكفينا لإقامة الدولة الصالحة والعصرية المتحضرة. فان الامة الاسلامية يمكنها ان توفر فرص التطور والنمو في العالم الاسلامي على المستويين المادي والمعنوي اذا ما التزمت بتعاليم دينها الحقة، وبذلك يمكن للنظرية الاسلامية ان تثبت انها النموذج الاجتماعي الاسلامي القدوة، القادر على حل كل المشكلات الاجتماعية، من خلال تحقيق التكامل الاقتصادي والسياسي والثقافي والروحي والاجتماعي

2- العودة إلى كتابه عليه السلام إلى واليه على مصر، الشهيد مالك الأشتر رضوان الله عليه، لننهل من ذلك المعين العذب، وهو يوصي عامله على مصر بأدقّ الأمور، وفي شتى ميادين إدارة الدولة.

3- العودة الى افكار الامام علي عليه السلام في المجلات الانسانية والاخلاقية والاقتصادية، والتي انقذت الامة الاسلامية من الظلم والتعصب والفقر والحرمان في فترة ولايته، فقد حكم الامام علي عليه السلام بالحكم الاسلامي

الخالص الذي ما زالت اثاره الايجابية تدور في افاق عالمنا المعاصر، فالامام علي عليه السلام كان المعلم الاول بعد الرسول الاعظم (ص) بالتربية التي انتهجها مجتمعنا الاسلامي والمجتهد في اختصاصات الدين والدنيا،

الهوامش:

(1) الخطوط الكبرى في الاقتصاد الاسلامي :ابو احمد رضا صاحب،دار مجداولاي، الاردن،2006،ص29

(2) دور الجهاز المصرفي في الاقتصاد الاسلامي : سعد طبري، رسالة ماجستير، الجزائر،2000-2001 ص65

(3) تيسير بعض احكام البيوع والمعاملات :حامد بن عبد الله العلي،،مجموعة محاضرات عن احكام البيوع والمعاملات 1423هـ.

(4) سورة الحج :الاية 78

(5) سورة الانعام :الاية 82

(6) تفسير الميزان : محمد حسين الطباطبائي،ط1، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، - ج ١ - ص ٢

(7) سورة الاعراف : الاية 96

(8) ينظر: الربا موضوعا وحكما، جعفر السبحاني، ط1429،51،الناشر مؤسسة الامام الصادق عليه السلام للبحوث والدراسات الاسلامية،قم المقدسة،ص30 ومابعدها. حيث اوضح (الربا) بالمعنى الحقيقي – هو الربا القرضي عكس الربا المعاوضي لانه ليس ربا في الحقيقة وقد حرم حتى لايكون طريق للربا القرضي وبين الاقسام الاربعة :المكيل، الموزون، المعدود، المذروع

(9) وتعريف المال عند فقهاء الشريعة الإسلامية : هو كل ما يمكن حيازته ويمكن الانتفاع به على الوجه المعتاد شرعا ويلاحظ من هذا التعريف شموليته لكل أصناف الأموال، حيث لا يقتصر مفهوم المال على العملات النقدية فحسب :

(10) الباحثين في الاقتصاد الاسلامي: محمد بن عبد الرحمن جنيدح،المجلد 1،ص 40

(11) الاموال ونظرية العقل: محمد موسى ص 19

(11) تحويل الاستثمارات في الاقتصاد الاسلامي :خلاف علي،رسالة ماجستير،ص3

(12) سورة الاعراف : 96

(13) الجهاز المصرفي في الاقتصاد الاسلامي : سعد طبري، رسالة ماجستير، الجزائر،2000-2001 ص66

(14) انظر: الملكية الفردية في النظام الاقتصادي الاسلامي محمد بلتاجي؛ ص60-61.

(15) ينظر: الموسوعة العربية العالمية (1999)، الموسوعة العربية العالمية ط2 المملكة العربية السعودية مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ج 3،ص 422،

(16) سورة الاعراف : الاية 96

(17) سورة الذاريات : الاية 56

(18) سورة التكاثر : الاية 8

(19) سورة الحشر: الاية 7

(20) مبادىء الاقتصاد وخصائصه،: سناء رحماني، ط1،ص 4-5.

(21) سورة الانفال :الاية 27

(22) سورة البقرة :الاية 275

(23) انظر :كنز العمال 44/4، وسائل الشيعة 287/21 باب 4، 331 باب 42

(24) نهج البلاغة : الشريف الرضي،ج 3،ص592

(25) سورة النساء: الاية 58

[26] ينظر: التعايش السلمي ومحاولات تفتيت المجتمع،فضل الشريفي، ص 15

[27] نهج البلاغة، الشريف الرضي، ج 3 ص 572

[28] ينظر سلسلة قراءات انطباعية في نهج البلاغة.علي حسين الخباز ط1،دار البيضاء للنشر الطباعة،النجف، العراق،1430 هـ، 2009م،ج3574

[29] نهج البلاغة، الشريف الرضي، ج 3 ص574

[30] سورة البقرة:186

[31]الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشيخ ناصر مكارم الشيرازي – ج ١ – ص ٥٢٨

[32] سورة الفجر : 14

[33] البرهان في تفسير القرأن: السيد هاشم البحراني،ج5،ص653.

[34] نهج البلاغة: للشريف الرضي،ج3،ص576

[35] نهج البلاغة: الشريف الرضي،ج3 ص 578

[36] نهج البلاغة: الشريف الرضي،ص 588

[37] نفس المصدر السابق: ج3،ص586

[38] نفس المصدر السابق : ج3،ص586

[39] نفس المصدرالسابق : ج3،ص586

[40] سورة البقرة :الاية 109

[41] نهج البلاغة، الشريف الرضي : ج3،ص586

[42] انهج البلاغة، الشريف الرضي : ج3،ص573

[43] المصدر السابق: ج3،ص574

[44] نهج البلاغة: للشريف الرضي،ج3،ص574

[45] نهج البلاغة: للشريف الرضي،ج 3، ص 575.

[46] نهج البلاغة: للشريف الرضي،ج 3، ص 575.

[47] نفس المصدر ج 3/ ص575.

[48] نهج البلاغة: للشريف الرضي، ج 3/ ص575.

[49] نهج البلاغة: للشريف الرضي، ج 3، ص575

[50] نفس المصدر ج 3/ ص575.

[51] نهج البلاغة: للشريف الرضي، ج 3، ص 577.

[52] نهج البلاغة: للشريف الرضي، ج 3، ص573.

[53] سورة الاسراء: الآية 70.

[54] تفسير القمي – علي بن إبراهيم القمي – ج ٢ – الصفحة ٢٢،ت 329هـ،مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، قم/ ايران،ط3،

[55] سورة المائدة: الآية 32

[56] علي وحقوق الانسان :جورج جرداق، ط1، مطبعة صعصعة، مملكة البحرين، 2003،1423م، ج 1، ص13

[57] نهج البلاغة – خطب الإمام علي (ع) – ج ٤ – ص٤٦

[58] كمال الدين: ميثم بن علي البحراني،شرح نهج البلاغة، ت676، ط 2، دار الثقلين للطباعة،بيروت–لبنان، 1420هـ–1999م/ ج 5/ ص 84.

[59] سورة الزمر: الاية 65.

[60] سورة الروم: الاية 60

[61] نهج البلاغة: للشريف الرضي، ج 3، ص84

[62] تهذيب الاحكام:الطوسي، ت460، ط 1،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان، ص1165.

[63] ملحقات الاحقاف: شهاب الدين المرعشي، ط1،مطبعة صدرا، قم إيران 141هـ 1992م،ج26،ص79.

[64] نهج البلاغة: للشريف الرضي، ج 3، ص84

[65] اخلاقيات الامام علي ﷺ هادي المدرسي، ط 1، مؤسسة الباقر للنشر، قم، إيران، 1431هـ، ج1ص 138.

[66] ميزان الحكمة: محمد الريشهري،ج4،ص3559

[67] اخلاقيات الامام ﷺ :هادي المدرسي، ج1، ص 138.

[68] ميزان الحكمة : محمد الريشهري،ج3، 1976

[69] انوار الحكم ومحاسن الكلام :حسن السيد النجفي، ط1،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت–لبنان،2011م،ج1 ص 484.

[70] بحار الانوار: العلامة المجلسي،ج71،ص 278.

[71] ميزان الحكمة : محمد الريشهري،ج3، 1776

[72] انوار الحكم ومحاسن الكلام : حسن السيد النجفي، ج 1،ص484.

[73] ميزان الحكمة : محمد الريشهري ،ج3، 2374، تحقيق دار الحديث للطباعة والنشر، قم / ايران، ط1

[74] اخلاقيات الامام علي (عليه السلام) : هادي المدرسي، ج 1، ص138.مؤسسة الباقر للنشر، قم، إيران، 1431هـ، ط1.

[75] شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد المعتزلي، ج17، ص30.

[76] سورة النساء، :الاية 97.

[77] تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب :محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، ج 7 ص204.

[78] سورة الإنسان: الاية 3.

[79] الكافي – محمد بن يعقوب الكليني، ج1،ص164، ت 941م، دارالكتب الاسلامية، طهران / ايران، ط1

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة دار احياء التراث العربي، بيروت،2002،ط1
2. انوار الحكم ومحاسن الكلام: حسن السيد النجفي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت، لبنان،2011م،ط1
3. التعايش السلمي ومحاولات تفتيت المجتمع، فضل الشريفي
4. التفسير المبين : محمد جواد مغنية،مؤسسة عز الدين،لبنان، 2004، ط4
5. تفسير الميزان: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان،2009، ط1

6. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب : محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، مؤسسة شمس الضحى، ايران، 1407هـ ،ط1
7. تهذيب الاحكام: الطوسي،ت460،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،2009، ط1
8. تيسير بعض احكام البيوع والمعاملات:حامد بن عبد الله العلي،،مجموعة محاضرات عن احكام البيوع والمعاملات 1423هـ.
9. الجهاز المصرفي في الاقتصاد الاسلامي : سعد طبري، رسالة ماجستير، الجزائر،2000-2001
10. الخطوط الكبرى في الاقتصاد الاسلامي: ابو احمد رضا صاحب، دار مجدلاوي، الاردن 2006،
11. دور الجهاز المصرفي في الاقتصاد الاسلامي :سعد طبري،رسالة ماجستير الجزائر ،2000-2001
12. علي وحقوق الانسان: جورج جرداق، مطبعة صعصعة، مملكة البحرين، 2003-، 1423 م،ط2
13. كمال الدين: ميثم بن علي البحراني،شرح نهج البلاغة، ت676، دار الثقلين للطباعة، بيروت- لبنان، 1420هـ-1999م،ط2
14. مبادىء الاقتصاد وخصائصه: سناء رحماني، مؤسسة العمل جامعة محمد بو ضياف، الجزائر، ط1،
15. ملحقات الاحقاف: شهاب الدين المرعشي، مطبعة صدرا، قم إيران 1413هـ 1992م، ط1
16. الملكية الفردية في النظام الاقتصادي الاسلامي: محمد بلتاجي
17. منهاج الباحثين في الاقتصاد الإسلامي : حمد بن عبد الرحمن جنيدل، الرياض،1406هـ
18. الموسوعة العربية العالمية (1999)، الموسوعة العربية العالمية،المملكة العربية السعودية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2
19. نهج البلاغة: الشريف الرضي، السيد محمد بن الحسن بن موسى ت 406هـ،
20. وسائل الشيعة: الحر العاملي، تحقيق ونشر: مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة،1414، ط2،
21. الباحثين في الاقتصاد الاسلامي: محمد بن عبد الرحمن جنيدح،المجلد 1،ص 40
22. الاموال ونظرية العقل: محمد موسى ص 19

23. تحويل الاستثمارات في الاقتصاد الاسلامي: خلاف علي، رسالة ماجستير، ص3

24. سلسلة قراءات انطباعية في نهج البلاغة. علي حسين الخباز ط1، دار البيضاء للنشر الطباعة، النجف، العراق،1430هـ، 2009م،ج3574.

25. تفسير القمي – علي بن إبراهيم القمي.ت 329هـ،مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، قم/ ايران،ط3،

26. اخلاقيات الامام علي عليه السلام هادي المدرسي، مؤسسة الباقر للنشر، قم، إيران، 1431هـ، ط1.

27. ميزان الحكمة: محمد الريشهري، تحقيق دار الحديث للطباعة والنشر، قم / ايران، ط1

28. بحار الانوار: العلامة المجلسي،ت 1699م، مؤسسة الوفاء، بيروت / لبنان، ط3

29. الكافي : محمد بن يعقوب الكليني،ت 941م، دارالكتب الاسلامية، طهران / ايران، ط1